# الشارق

مجلة ثقافية إسلامية عربية تصدر في كل ثلاثة أشهر

الرئيس العام
الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

تصدرها

## الجامعة الإسلامية

بمظفرفور أعظم جراة، يو. بي (الهند)

أبريل
مايو، يونيو
٢٠٢٣م

# من أهداف المجلة

أولاً:

تعريف التراث الإسلامي بالأخص تراث السنة النبوية الشريفة.

ثانياً:

محاربة البدع وفساد العقيدة.

ثالثاً:

توجيه الشباب المسلم إلى الاختيار بالوسطية والاعتدال في الفكر والعمل.

رابعاً:

اتصال بالمراكز العلمية والإسلامية في العالم الإسلامي والعربي عن تنسيق العمل بين هذه الجامعة وبين العلماء والباحثين بالعمل المشترك في هذا المجال العملي.

بسم الله الرحمن الرحيم

# الشارق

مجلّة ثقافية إسلاميّة عربيّة تصدر في كلّ ثلاثة أشهر


المجلد الثامن
العدد الثاني

أبريل
مايو، يونيو
٢٠٢٣م



الرئيس العام
الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

هيئة التحرير
فريد الدين الندوي
محمد رافع الندوي

الهيئة الاستشارية
فيروز أختر الندوي
السيد جاويد أحمد الندوي


عنوان المراسلات


مجلة الشارق العربية الجامعة الإسلامية
مظفربور أعظم جراه يوبي (الهند)

**Alshariq Arabic, Jamia Islamia**
MUZAFFARPUR-AZAMGARH (U.P.) 276302 INDIA

# الشارق

**مجلة ثقافية إسلاميه عربية**

تصدر في كلّ ثلاثة أشهر

الجامعة الإسلامية

مظفر فور أعظم جراه يوبي (الهند)



❋ المواد التي تنشرها المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر –بالضرورة– عن رأي المجلة.

❋ الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة الشارق لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.



الاشتراكات السنوية

في الهند: ١٠٠ روبية

ثمن النسخة: ٢٥ روبية

في العالم العربي: ٢٠ دولاراً

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم

**Zakaria Book Depot**

A/c No: **36723697140**

IFS Code: **SBIN0014131**

S.B.I. Muzaffarpur Gaon

Azamgarh

**الجوال:** (+918795565555)

**التزيين:** محمد أنس المعروفي


## محتويات العدد


| العناوين | | الصفحة |
|---|---|---|
| **الافتتاحية:** الحج والزيارة في الديانات القديمة، سماتهما وفوارقهما | الشيخ الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله | ٣ |
| أزماتنا...كيف نفهمها وكيف نتعامل معها؟ | محمد سكحال | ١٢ |
| الإسلام يدعو إلى الأخلاق الحميدة | الدكتور عبد الله مبشر الطرازي | ٢٠ |
| تجليات وحدة الأمة فى فريضة الحج | وصفي عاشور أبو زيد | ٢٣ |
| لا تكذب | محمد بن عبد الله الحمود | ٣٠ |
| من أخلاقيات الرسول ﷺ مع الأطفال | خلف أحمد محمود أبو زيد | ٣٨ |

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

# الحج والزيارة في الديانات القديمة، سماتهما وفوارقهما

سماحة الشيخ الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

لم تعرف أمة ولا ديانة من أمم البشر ودياناتهم، وإلا وعندها أمكنة مقدسة تشد إليها الرحال، وتحث فيها المطي، ولها طرق وعادات وتقاليد، وآداب لهذا السفر الديني، والزيارة المقدسة، وذلك لأن هذا العمل إجابة لحاكم الطبيعة، وتلبية لنداء الضمير، فالإنسان كما قلنا لم يزل باحثاً عن شيء يراه بعينه، ويوجه إليه أشواقه، ويقضي به حنينه، ويشبع به رغبته الملحة في التعظيم والدنو، ولم يزل باحثاً كذلك عن عمل طويل شاق يكفِّر به عن ذنوبه الجسام، وسقطاته الفاضحة، ليتغلب به على وخز الضمير وتأنيب الحس الديني ولائمة المجتمع، ولم يزل في حاجة إلى مشهد ديني عظيم، يلتقي فيه على الأخوة الدينية والعاطفة الروحية، لذلك لم تخل أمة من الأمم، ولا دور من أدوار المدنية من أسفار دينية، ومناسك مشهورة ومشاهد مقدسة يجتمع فيها الناس، ويذبحون الذبائح، ويقربون القرابين لله تعالى، أو لآلهتهم ومعبوداتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، وقال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ

إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٦٧]، وقد اكتشفت الآثار وعملية الحفر عن هذه المناسك والمشاهد في المدنيات البائدة، والمدن المطمورة، وتحدث التاريخ عن وجودها، وعن بعض أخبارها، ولكن الاهتداء إلى حقيقتها وتاريخها، والأحكام والآداب التي تتعلق بها صعب جداً، فقد لا يرجع الباحث في ذلك، إلا بقياسات وأخبار متقطعة مبتورة، لا يستطيع أن يكوّن بها فكرة كاملة، أو صورة واضحة.

والديانة اليهودية، ثم المسيحية من أقرب الديانات إلينا، وقد عاشتا زمناً طويلاً في عصر التاريخ والعلم، وعُني بهما المؤرخون والمؤلفون، ولا تزالان ديانتي أمتين كبيرتين نشيطتين في الثقافة والتأليف والسياسة، والبيت المقدس وما حوله من آثار ومشاهد ملتقى هاتين الديانتين، ومركزهما الروحي الأصيل، والحج إليه قديم وأصيل عندهما، ولكن لا يزال هذا الركن الديني الكبير يكتنفه الشيء الكثير من الغموض والاضطراب، وقلة المعلومات، (إذا قارنّا ذلك بالحج الإسلامي، الذي تشغل مناسكه وأحكامه وتفاصيله مكتبة واسعة هائلة، وهو مدون تدويناً لا يجد فيه الباحث عناء)، وهنا خلاصة ما جاء في "دائرة المعارف اليهودية" المجلد العاشر[١]:

« إن الحج إلى بيت المقدس الذي كان يدعى بالزيارة (RE-YIAH) يؤدى في زمن ثلاثة أعياد (وهي عيد الحصاد[٢] وعيد (الفصح "اليهودي" وعيد المظال) وكان الحج فريضة على جميع اليهود، باستثناء الصغار الذين لم يبلغوا الحلم، والإناث، والعميان، والعرج، والضعفاء والمصابين بأمراض بدنية أو عقلية، وكانت الشريعة الموسوية

[١] جيويش إنسائكلوبيديا (Jewish Encyclopaedia – Vol –See Pilgrimage).

[٢] جاء في دائرة المعارف اليهودية تحت عنوان عيد الحصاد: وهو من أعياد الحج الثلاثة التي كان جميع الذكور مكلفين فيه بالحضور في بيت المقدس، اقرأ عنوان: (Pentecos).

توجب على كل « حاج أو زائر » أن يأخذ معه « تقدمة للرب » ، ولكنها لم تعين المقدار، وكان رغم إعفاء الإناث والصغار عن الزيارة، كان يؤمه عدد كبير منهم مع الأزواج والآباء كما هو الشأن في الأسواق العامة، ولا تخلو الروايات التي وردت عن عدد الزائرين في أزمنة مختلفة من المبالغة[١]، وكانت الخرفان تذبح في عدد كبير، وكانت جلود الذبائح تقدم إلى حراس الخانات الذين كانوا يقومون بخدمة الزوار وإيوائهم من غير مقابل.

ولم تنقطع عبادة الحج بعد تدمير « المعبد » أيضاً، ولما فتح المسلمون بيت المقدس بقيادة صلاح الدين عام ١١٨٧م، تسنّى لليهود القاطنين في المنطقة الشرقية أن يزوروا بيت المقدس، وما عداه من الأمكنة المقدسة (بين دمشق، وبابل، ومصر) وقد اعتاد اليهود في الشرق ولا سيما في بابل وكردستان من القرن الرابع عشر الميلادي، أن يؤدوا فريضة الحج مرة في السنة، على أقل تقدير، وكان عدد منهم يقوم بهذا الحج مشياً على الأقدام، وقد كانت الحروب الصليبية مشجعة لليهود في أوروبا على الحج والزيارة، وفي عام ١٤٩٢م عندما أجلي اليهود من إسبانيا، وهاجر عدد كبير منهم إلى مناطق المسلمين، تضاعف عدد اليهود الزوار، وربما كانوا يجتمعون على قبر النبي صموئيل في قرية الرامة[٢]، حيث كانت تقوم أسواق عيدهم السنوي، وتقام التقاليد الدينية.

يعاتب اليهود إخوانهم القاطنين في بلدان أخرى، الذين ضعفت فيهم رغبة الحج والزيارة، وزهدوا فيهما، بينما ينتهز المسيحيون الفرص لزيارة الأرض المقدسة.

---

[١] منها، ما قيل أنه بلغ عدد الخرفان المذبوحة، في عام بين ٦٣ - ٦٦م إلى ٥٠٠ - ٢٥٦، فإذا فرض أن خروفاً كان يساهم فيه عشرة رجال من الحجاج يبلغ عددهم إلى أكثر من مليونين ونصف، حاج أو زائر، ويذكر مصدر يهودي أنه بلغ عدد الخراف إلى ١٢٠٠٠٠ خروفاً، وقد اعترف كاتب المقال في « دائرة المعارف » بأنه لا يخلو من المبالغة.

[٢] قرية في فلسطين (الجليل).

وللحج أيام معينة يسميها اليهود في الشرق وشمالي إفريقية أيام الزيارة، وقد شاع فيهم أن يزوروا فيها قبور عظمائهم، ومنهم من اشتهر كملك، أو كنبي، أو كصالح وولي، وهم يحتفلون بهذه الأيام بالإكثار من الأدعية وإظهار الفرح والسرور، شأنهم في الأعياد العامة، ويجتمعون بين مساء اليوم السابع عشر من تموز إلى اليوم التاسع من « آب » ثلاثة وعشرين يوماً متوالية، مقابل الجدار الغربي لهيكل « سليمان » ، وتبتدئ هذه العبادة في اليوم التاسع من آب، من نصف الليل.

وهنالك مشاهد وضرائح وأمكنة محلية، يشد إليها الرحال في كل قطر وبلد »[١].

أما الحج والزيارة عند المسيحيين، فهنا خلاصة لما جاء في « دائرة معارف الأديان والأخلاق » .

الحج اسم للرحلة التي يقوم بها الإنسان لزيارة المشاهد المقدسة، مثل مشاهد الحياة الدنيوية لسيدنا عيسى عليه السلام في فلسطين، أو مراكز زعماء الدين المقدسة في « روما » ، أو الأمكنة المقدسة التي تنسب إلى المقبولين من الزهاد والشهداء.

إن الجيل المسيحي الأول لم يشعر بضرورة زيارة مشاهد المسيح والتبرك بها، بالنسبة إلى المتأخرين الذين عنوا بذلك أكثر، ولكن انتشرت هذه الزيارة من القرن الثالث المسيحي، وقد شُغف عدد كبير من المسيحيين بالبحث عن مشاهد المسيح وآثاره، وزيارتها، وعنوا بذلك أكثر مما عنوا بتتبع تعاليمه ووصاياه.

وقد شاعت زيارة مشاهد روما من القرن الثالث عشر على حساب زيارة الأرض المقدسة، وإن لم تنقطع زيارة الأرض المقدسة بتاتاً، وكانت « روما » المدينة التي تلي بيت المقدس في الأهمية، يؤمها الناس للزيارة في عدد كبير وجم غفير.

إن الإسباب التي بلغت بها البابوية قمتها، جعلت روما مركزاً للزيارة، ولا سيما،

---

[١] راجع دائرة المعارف اليهودية، عنوان (Pilgrimage).

فإن ضريحي القديس بطرس، والقديس بولس قد أضفتا عليها من العظمة والجلال ما جعلها مثابة للمسيحيين الكاثوليك في العالم كله، وازدحموا فيها ازدحاماً كبيراً، وقد كان إقبال الزوار عظيماً على سراديب الأموات (Cata Combs) التي تقدس لأجل عظام الشهداء، إن الزوار لم يتوقفوا عن زيارة « روما » في أي فترة من فترات التاريخ، وقد جعلتها كثرة الكنائس والآثار التاريخية المقدسة محط أنظار الناس في كل زمان.

والقارئ يتخم بكثرة أسماء القبور والضرائح والمشاهد، العامة في أرض فلسطين، والمحلية المنتشرة في كل قطر أو ولاية، أو بلد يقطنه اليهود والمسيحيون من زمن بعيد، وصاحب مقال « الحج والزيارة » في « دائرة المعارف اليهودية » وفي « دائرة الديانات والأخلاق » يسرد أسماء ضرائح ومشاهد للصالحين والمقبولين في أقطار أوروبية وآسيوية مختلفة، ويذكر الأيام والشهور التي تزار فيها، وما لهذه الزيارات من آداب وتقاليد، وإذا تأمل القارئ في مدى اهتمام اليهود والمسيحيين بهذه المشاهد، وتقديسهم لها، وتجشم الأسفار والمتاعب في سبيلها، وكيف شغلتهم واستحوذت على مشاعرهم في كل زمان ومكان، وكيف أثارت فيهم الغلو في التقديس والتعظيم، حتى وصلوا إلى حد الشرك، وعبادة غير الله، عرف سر شدة إنكار النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذه العادة، وإشفاقه من أن يتسرب ذلك إلى المسلمين – حملة لواء التوحيد إلى الأبد، والأمة الأخيرة – وحرصه الشديد على أن يبقى ضريحه ومثواه الأخير بعيداً عن كل شرك وعبادة وغلو، وكان ذلك هو الشغل الشاغل له في مرضه الأخير، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قالا: « لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال: وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذّر ما صنعوا ». وروي عن أبي هريرة

رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »، وعن عائشة رضي الله عنها « أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله »[١]، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٢].

وقد ضيَّق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم السبيل في وجه تجشم السفر الطويل، وشدّ الرحل إلى المشاهد والضرائح، والأمكنة المتبركة بقوله المأثور المشهور: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى »[٣]، فوقى بذلك أمته من الوقوع في فتنة المشاهد والآثار، كما وقع فيها اليهود والنصارى، والأمم الجاهلية، وكانت فريسة الشرك والوثنية السافرة أحياناً كثيرة.

ولكن طوائف من المسلمين في القديم والحديث لم تعمل بوصيته التي لم ينسها في آخر عهده بالدنيا، ولم تلق لها بالاً، وافتتنت بالمشاهد والآثار، وشدِّ الرحل إليها من بلدان نائية، والعكوف عليها تبركاً وتعبداً، افتتاناً عظيماً، فكان ذلك تصديقاً لقوله، وتحقيقاً لإخباره: لتتَّبِعُنَّ سنن من قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع[٤]،

---

[١] الجامع الصحيح للبخاري، كتاب الصلاة « باب الصلاة في البيعة ».

[٢] رواه مالك في الموطأ.

[٣] رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً.

[٤] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قيل يا رسول الله! اليهود والنصارى، قال: فمن؟ » (متفق عليه).

واغتصبت هذه المشاهد والضرائح، - ومنها ما هو مكذوب ومزور – حظ المساجد، وحظ المسجد الحرام في بعض الأحيان، وقد جعلها الجهَّال في كثير من الأقطار « كعبة » يشدّون إليها الرحال، ويقصدونها من نواح بعيدةٍ، وقد اتخذوها عيداً يعودون إليه في كل سنةٍ ويجتمعون في عدد كبير، ويقيمون الأسواق.

وقد أجاد شيخ الإسلام تقي الدين بن تيميّة في وصف هذه الطوائف بجملته التاريخية البليغة، « مشاهدهم معمورة، ومساجدهم مهجورة »[١] والسائح في الأقطار الإسلامية يواجه هذه المشاهد والضرائح، ومساحتها الواسعة، وأبنيتها الضخمة، وقبابها الرفيعة في كل بلد يمر به، ويرى هنالك من أعمال شركية كالسجود، والنذور والذبائح، وأدعية وسؤال من صاحب الضريح، ما يندى له جبين الإسلام.

أما الديانات الهندية - بما فيها من البوذية والجينية والبرهمية - فقد كثرت فيها المشاهد والمعابد، والأمكنة « المقدسة » المقصودة من النواحي والأطراف كثرة فاحشة بطبيعة الحال، وهي الأمكنة التي يرون لها شرفاً عظيماً، وقدساً خاصاً، ويعتقدون فيها بركة لما حدث فيها من الوقائع العظيمة، وأُكرم فيها بعض عظمائهم بالقرب أو الكلام، أو الوصول والمعرفة، أو تجلت فيها بعض آلهتهم - كما يزعمون - تجلياً خاصاً، وكثرت فيها الأعياد الدينية، والمواسم والأسواق، التي انصبغت بصبغة الدين.

وأكثر هذه المشاهد والأمكنة المقدَّسة على ساحل نهر « الكنج » (GANGES) المقدَّس، يجتمع فيها أهل البلاد في عدد هائل، للاغتسال في النهر المقدَّس، ومنها ما يجتمعون فيها سنوياً، أو عدة مرات في السنة، ومنها ما يجتمعون فيها بعد سنين، كغسل (KUMBH) الذي يجتمعون له بعد اثني عشر عاماً، عند ملتقى نهري « الكنج

---

[١] راجع ما قاله شيخ الإسلام في هذا الموضوع في الجزء الأول من منهاج السنة (ص: ١٣٠-١٣١).

وجمنا » في برياك (PARAYAG) [١] ومن أشهرها مدينة « بنارس » في الولاية الشمالية، على نهر « الكنج » ويعدُّون الاغتسال فيه كفّارةً للذنوب، ومن أعظم الحسنات والقربات، ويؤثرون الموت في هذه المدينة، وتُنقل إليها جثث الموتى من النواحي البعيدة، لتحرق هناك، أو تترك في النهر على اختلاف العقائد والعادات والطوائف الهندّية، ومنها بلدة « اجودهيا » التي كانت مركزاً لـ« راما » (RAM CHANDER) و« متهرا » التي لها اتصال بتاريخ « كرشنا » (KRISHNA)، ومنها « هردوار » [٢] وكلّها في الولاية الشمالية الغربية، وهنالك مشاهد وشواطئ، ومعابد هامّة تُعدّ بالعشرات في شبه القارة الهندية، تختلف فيها العادات والتقاليد باختلاف الأقاليم والمناطق، وباختلاف الطوائف التي تدين بها.

ومن أعظم المراكز المحجوج إليها عند البوذيين مدينة « كيا » (GAYA) في ولاية « بهار » التي قضى فيها مؤسس هذه الديانة المؤلّهُ « كوتم بده » (GOTAM BUDDHA) مدةً طويلةً، وتشرَّف بالشهود أو المعرفة، التي يسمونها « نيروان » (NIR VAN).

والأعياد والأسواق التي تُقام في هذه الأمكنة المقدّسة، وعلى الشواطئ، مسرح الفوضى والجنايات، ويتجلّى فيها عدم النظام، وعدم النظافة لكثرة الزوّار والقاصدين الذين قد يبلغ عددهم - خصوصاً في الأعياد والأسواق التي تُقام بعد مجموعة من السنين - إلى ملايين من النفوس، رغم حرص الحكومة على إقامة النظام وقوانين الصّحة، والوقاية من الأمراض، وتقترن بتقاليد جاهلية، وأعمال شركيّة، وأساطير الآلهة والإلهات القديمة، ومن إعجاز القرآن، أنه لما ذكر حج البيت الذي بناه إبراهيم وحث عليه، نعى على الشرك والوثنية والزور الذي تلوَّثت به المناسك،

[١] من ضواحي « الل آباد » المدينة المشهورة.

[٢] معناه باب المعبود، أو باب الإله.

وأعمال الحج والزيارة في الديانات والأمم الأخرى، فقال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ، حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: ٣٠ - ٣١].

هذه صورة مجملة لأساليب الحج والزيارة، والرحلة الدينية في ديانات العالم الرئيسية، التي لا يزال لها أتباع ومؤمنون يُعدّون بالملايين، وملايين الملايين، وقد كان شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي رحمة الله عليه، عميق النظر، واسع الاطلاع، غير مجانب للصواب والإنصاف، إذ قال في كتابه « حجة الله البالغة » وهو يتكلم في موضوع الحج: « وأصل الحج موجود في كل أمَّة، لا بدّ لهم من موضع يتبركون به، لما رأوا من ظهور آيات الله فيه، ومن قرابين وهيئات مأثورة عن أسلافهم يلتزمونها، لأنها تذكر المقرّبين وما كانوا فيه.

وأحقّ ما يحج إليه بيت الله، فيه آيات بينات، بناه إبراهيم صلوات الله عليه، المشهود له بالخير على ألسنة أكثر الأمم، بأمر الله ووحيه بعد أن كانت الأرض قفراً وعراً، إذ ليس غيره محجوج، إلا وفيه إشراك أو اختراع ما لا أصل له »[١].

ويستطيع القارئ في سهولة أن يقارن بينها وبين الحج الإسلامي، ويعرف مفارقات بينها وبين هذا الركن الرابع، ويقرأ قوله تعالى، ويحدّث بنعمة ربّه: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٦٧].

❁ ❁ ❁

[١] « حجة الله البالغة » (١/٥٩).

# أزماتنا...كيف نفهمها وكيف نتعامل معها؟

محمد سكحال

باحث برابطة العالم الإسلامي

الأزمات والمحن التي توالت على الأمة المسلمة، وتطاولت عليها الأماد، أورثت حالة من الإحباط النفسي العام، والشعور بخيبة الآمال، واليأس من التعافي، ولو أن أمة أخرى دهاها ما دهى الأمة الإسلامية من النكبات، لسقطت سقوطاً لا قيام لها بعده، لكن ميزة أمتنا أن المحن تضنيها ولا تفنيها، بل تستعيد عافيتها منها كلما فاءت إلى دينها واستقامت على منهاج ربها، واستجابت للنداء الإلهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ولا بد من الوقوف بشيء من الإمعان عند هذا الإحباط الذي استحوذ على كثير من النفوس، فإن النهضة الإسلامية المرتقبة والتخلص من حالة الاضطراب والاحتراب، لا يمكن أن تنطلق إلا من نفوس مترعة بالأمل غنية بالعزائم والهمم، مستوعبة سنن سقوط الأمم ونهوضها، وها هنا مسؤولية جسيمة ورسالة تاريخية تقع على عاتق أولي الريادة في الأمة، من رجال الفكر والدعوة والإصلاح، في نفخ روح الأمل في النفوس، وإرشادها إلى سبل التغلب على هذا الإحباط، ومعالجة آثاره في الكيان الداخلي والمعنوي، والدلالة على عناصر الطاقة الكامنة التي تملكها الأمة الإسلامية، التي لو جهدت في

تنشيطها وأحسنت استخدامها، لجاءت النتائج مبشرة بمستقبل مشرق ينبلج من خضم هذا الحاضر الكالح العقيم.

وأول شيء ينبغي أن نرسخه في وعي أبناء جيل الأزمة، هو التوعية بأن الصراع بين الفريقين من أهل الحق وأهل الباطل، سرمدي لا مطمع في انقطاع جولاته إلى يوم الدين؛ لأنه ضرورة يتجلى فيها ناموس الابتلاء الذي جعله الله تعالى غاية للوجود البشري المؤقت على الأرض، وهيأ الأسباب فيها لتكون مسرحاً للصراع المتواصل بين طرفين أحدهما يمثل طريق الحق والهدى الذي عرفه رب العزة للناس في رسالاته، والآخر يمثل طريق الباطل والضلال الذي دعت إليه الشياطين، وأردت فيه الكثير من الناس.

ولا مناص لفرد من الأفراد من التحيز لأحد الطرفين في هذا الصراع السنني اللأزب، كما لا يمكن لأمة من الأمم أن تخرج عن الحلبة وتتخذ موقف الحياد، وذلك بالنظر إلى المحصلة الكلية للاعتقادات والمثل التي يدين بها أفرادها، وتتشكليها لديهم القيم الاجتماعية، وتنفرد الأمة الإسلامية بفارق جوهري، وهو أنها مهما تدهورت أوضاعها على المستويات الجزئية والفردية، فإنها تبقى معصومة من الانحياز الكلي إلى الطرف الثاني، وهذه العصمة ثابتة بمنثورات من الدلائل الشرعية التي ترقى في زمرتها إلى درجة القطع في إثباتها، وهي متكأ علماء أصول الفقه في إثبات حجية إجماع علماء الإسلام، فمن محتوم الأقدار أن تبقى الأمة الإسلامية ممثلة لطريق الحق والهدى، وأنها لأجل ذلك تواجه ابتلاءً مستمراً بغيرها ممن يمثلون الطريق الآخر.

والشيء الثاني الذي ينبغي أن يعيه جيل الأزمة، ما يمكن أن نستلهمه من التأمل في الدعاء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به، وهو متوجه إلى غزوة خيبر؛ فقد روى البخاري في صحيحه عن أنس أنه عليه السلام كان يكثر من قوله: "اللهم إني أعوذبك من الهم والحزن والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضِلَع الدَّين وغلبة الرجال"

فلو أمعن أحدنا الفكر في مفردات هذا الدعاء، لوجد فيها علاجاً نفسياً لأوضاع الأزمات، فإن الإحباط إذا تطرق إلى النفس، واستبد بها من أقطارها تحلل إلى زمرة من الهموم والأحزان، وتتحول تلك الاكتئابات المتداعية إلى شللٍ في الإرادة واسترخاء في العزيمة وهيمنة الشعور باليأس من جدوى الأسباب في تحصيل التعافي وإحراز التغيرات الإيجابية، وهو ما عناه الحديث السابق بعبارة وجيزة جزلة: العجز والكسل.

والغموم إذا سكنت النفس وتواصلت عليها، أنتجت طباعاً تحفظية وسلوكاً انقباضياً، أو بالعبارة النبوية: جبناً وبخلاً: بخلاً بالأموال وتعطيلاً للطاقات والمواهب، وهذا التسلسل من الأمراض النفسية المتولدة عن الإحباط، يقود في النهاية إلى غلبة الدين وقهر الرجال، يعني تراكم التبعات وتسلط الأعداء.

فلا محيص إذن من بعث الهمم من سكونها، واستنشاط العزائم من كمونها، لمغالبة الآثار النفسية للأزمة، أولاً، واجتثاث روح اليأس التي استمكنت من فئة غير قليلة من الناس، وولدت لديهم حسباناً بأن حالة الضعف التي تمر بها الأمة، حالة مزمنة لا تقبل العلاج، وهذا هو الداء العضال الذي قد يغفل عنه بعض المحللين للأزمة، والباحثين في سبل تجاوزها، مركزين في ذات الحين على جوانبها المادية ومظاهرها الخارجية، ولا جرم أن للوسائل المادية والإمكانات الحسية أهميتها ومكانتها، ولكنها لا تغني شيئاً ما دامت في أيدٍ شلَّاء لا تنبض فيها أعصاب الإرادة، ولا يتمتع أصحابها بالأمل في التحسن والتحول نحو الأفضل.

وعادة السيف أن يزهى بجوهره  وليس يعمل إلا في يدي بطل

فمن الضروري أن يركّز في الخطاب الإسلامي الدعوي والتربوي، على تنمية الإرادة، وتعزيز الآمال والتطلعات في الضمير الفردي والجمعي للأمة، ومحاربة الظواهر الفكرية والسلوكية المخذلة المثبطة، التي تقزم الجهود النوعية الإبداعية ولا تحفل

بالشخصيات الفاعلة، ومن الضرورة أيضاً توجيه النقد بحكمة وعقلانية لشريحة العطالة التي تقف من قضايانا وتفاعلاتها، مواقف سلبية لا تحسن فيها إلا التفرج بلا شعور ولا ضمير، وللفئة المستلبة ثقافياً، المنهزمة نفسياً أمام الغرب وتفوقه المادي.

ويجدر أن تتجه عملية العلاج النفسي، ببعض محاورها، إلى إرشاد أولئك المتحرقين غيرة وشفقة على أمتهم، يريدون أن يفعلوا شيئاً يساهمون به في التخفيف من التحديات المحدقة بها، وإصلاح أحوالها الدينية والمادية، ولا يجدون من يدلهم على مواقع الحاجة إلى ما لديهم من خبرات ومواهب واستعدادات، فهم طاقة كامنة تحتاج إلى تنشيط وترشيد، فالضمير منهم حي، والإيمان يملأ كيانهم، والشعور بالمسؤولية حاضر في نفوسهم، ولكن تكمن مشكلتهم في العجز عن إيجاد أعمال مناسبة لتصريف طاقاتهم ومواهبهم في أقنية التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي تحتاج إليها الأوطان الإسلامية، فإن الإرادة والمؤهلات غير كافية في صناعة المجد، ما لم يرتبط ذلك بتصور واضح لما يجب أن يفعله الإنسان، حتى لا تبدد طاقته في الفراغ أو تصرف في مشاريع غير مجدية بالمقاييس الحضارية.

وفي الأمة فئة رائدةٌ تملك قدرة على فهم الأمور في صورتها الكاملة، وضمن سياقاتها وملابساتها، وتنفذ من الظواهر إلى البواطن، وتجتهد في التعرف على ما تختزنه الأمة من طاقات وتتوفر عليه من إمكانات مادية وبشرية، وإيجاد المشاريع والبرامج الملائمة لتوظيفها فيها، بما يحقق للأوطان الإسلامية وشعوبها تنمية شاملة راشدة، فهذه الفئة هي معقد أمل الأمة ومحط تطلعاتها، وليس لأحد أن يزعم أن هذه الفئة منحصرة في حزب أو جماعة أو طائفة معينة، بل هي مبثوثة في مختلف المواقع، وموجودة في مختلف الشرائح، لا يربط بعضها ببعض إلا رابط الانتماء الإسلامي العام، والحرص على وحدة الأمة والغيرة على حرماتها، والإخلاص في خدمة دينها وأوطانها.

**مهمة العلماء الربانيين تجاه الخير المكنوز في الأمة:**

لا يخفى أن المهمة الأساسية المنوطة بأهل العلم وحملة الشريعة، تتمثل في تعليم الناس دينهم في الاعتقادات والعبادات والمعاملات، وتفنيد الشبه والأباطيل التي تلقى فيه، ولكن لا تنتهي رسالتهم عند هذا الحد، بل تمتد إلى ما هو أبعد منه، إلى دلالة الناس عل دروب الصلاح والفلاح وحثهم على سلوكها، وإشعارهم بالمسؤولية الدينية تجاه ما وهبهم الله من مواهب مادية وفكرية، والاهتمام بالشباب تعليماً لهم وتحصيناً من الزلل والخلل في فهم الدين، ومن الانسياق وراء التيارات الزائغة والمذاهب الهدامة والدعوات المغرضة، ومن رسالة العلماء إسداء النصح لأولي الأمر وحثهم على الرفق بالأمة والعدل فيها، والكشف عن مكنونات العبر في وقائع التاريخ في القديم والحديث، وربطها بما دل عليه القصص القرآني من سنن القوة والانتشار والضعف والانحسار.

ومن المهمات التربوية المنوطة بالعلماء أن يركزوا على أهمية المحافظة على التوازن بين العقل والعاطفة، وأن للجانب العاطفي والوجداني قيمة دينية ونفسية كبيرة، ولكن له مجاله الذي يوظف فيه، ولا ينبغي أن يطغى على الجانب العقلي والفكري، ويحتل شيئاً من مجاله، وأن من العدل والاستقامة توظيف كل منهما في مجاله.

**مكانة الإعلام وأهميته:**

لا يجادل أحد في أن الإعلام أصبح له تأثير بارز في صناعة الرأي العام وتوجيهه وتغييره، فهو الذي يصنع الرأي والموقف تجاه أي قضية عامة من قضايانا، بما يقدم من معلومات في صيغ من التقارير والتحليلات، والشواهد الصوتية والمصورة، وخدمات الترجمة والدبلجة والتركيب، بل تعدى الإعلام التأثير في الرأي العام، ونفذ إلى الأعماق الفكرية والثقافية، وتخلل إلى الوجدان والشعور لتوسعه في مصادر المعلومات التي

يقدمها في برامجه المتنوعة الموجهة لمختلف الشرائح.

فالذي يملك هذه القوة الناعمة يملك مفاتيح الدخول إلى المجتمعات وتنميط السلوك لديها تجاه مختلف الشؤون العامة، ومن المؤسف أن المؤسسات الإعلامية الكبرى ليست بأيدي المسلمين، وفي الغالب هي التي تغذي المؤسسات الصغرى التي قد لا يكون لها في أصداء الأحداث وتحرير أخبارها إلا التلقي وإعادة الإرسال، وتلك المؤسسات الكبرى ترتهن في رؤيتها ورسالتها وأهدافها، للجهات التي تموّلها. وأكثرها عدائية في مواقفها من المسلمين وقضاياهم، تحرص على إخفاء محاسنهم وفضائلهم، وإظهارهم بصورة مشينة لا تعرف إنصافاً ولا نزاهة، ولا تبالي بانتهاك حرمة الإنسان إذا تعلق الأمر بمسلم ولا تتردد في الكذب وقلب الحقائق إذا اقتضت رغباتها البراغماتية، ونزواتها التعصبية.

وعلى هذا فالتعامل مع قضايانا من خلال نوافذ الإعلام التي كثيراً ما تكون هي الوسيطَ في علاقاتنا، وتساهم في توجيه الحوار غير المباشر بين فئات الأمة، لا يجدي كثيراً في صناعة التفاعل الإيجابي مع أزماتنا ومشكلاتنا.

إن ما تعانيه أمتنا من استياءٍ وإحباط، من جراء النكبات والفتن والمحن، يرجع في جزء كبير من أسبابه إلى الأثر الإعلامي السلبي في النفوس، ولو كان الإعلام الذي بأيدينا مدركاً لضرورة الحد من التأثر بغيره فيما يقدم، حريصا على ربط رسالته بالدفاع عن حقوق الأمة وذاتيتها الحضارية، متحفّظاً مما يخالف القيم الإسلامية في الشكل والمضمون من برامجه، لكان وسيلة من أهم وسائل التربية والتوجيه الاجتماعي، ومساهما بقدر كبير من الجهود في التعريف بالقضايا الإسلامية، وسبل علاجها، وتخفيف التحديات، واحتواء الأزمات، وبث روح الأمل.

إن للأزمات إثارات إيجابية لدى أولي الفهم وأرباب الحكمة، ينبغي الانتباه لها، منها استيقاظ الضمير ووخزة الشعور بالذنب والتأهب لمراجعة الأخطاء، وتعميق الفكر

في التخلص من أسباب النكسات والنكبات، فإن الأزمات تلد الهمم، فمن الحصافة تحويل الأزمة إلى همة.

إن الضعف ليس عيباً في حد ذاته، لأن الإنسان قد لا يكون مسؤولاً عن أسباب ضعفه؛ بل تقع مسؤولية ذلك على أسرته التي تربى فيها، أو محيطه الاجتماعي المصغر، أو الظروف العامة التي تحكم البلد الذي يعيش فيه. وهذا الحال ينطبق أيضاً على الأمة بمجموعها، فالضعف الذي يعيشه الجيل الحاضر، نتيجة لأقساط من الضعف تراكمت عبر عدة أجيال خلت. فالمسؤولية نحو هذا الضعف، لا يتحمل منها جيلنا إلا ما تسبب هو فيه.

**الصراع مع العولمة وجهود التحصن:**

الأمة الإسلامية تخوض صراعاً شاملاً في معركة المحافظة على الذات وإعادة البناء، وأصعب ما في الصراع ذي الطبيعة الشمولية، أن المواجهة ليست مع عدو معين متحيز يمكن فيه تحديد إستراتيجية للمنازلة، إنه صراع مع العولمة التي غزت كل المجالات وطبعتها ببصماتها، السياسة والإعلام والاقتصاد والفن والتعليم.... وهي تُسوِّق نفسها بوسائل من ذاتها، تجاوزت حدود الرقابة والتوجيه، واخترقت الخصوصيات للدول والجماعات بل والأشخاص، وحولت المكنون المصون إلى مكشوف شاخص أمام العيون، من شبكة المعلومات الرقمية المتعددة الوسائط.

والعولمة تسعى لهدم أسوار أمام الخصوصيات الثقافية والاجتماعية، والترويج للقيم المادية النفعية، المجردة من الاعتبارات الخلقية، والقيم الروحية والمبادئ الإنسانية السامية التي أتت بها الشرائع ودعا إليها الحكماء والمصلحون، إذ هدف العولمة تأسيس العلاقات الإنسانية على المبررات المادية التي تجد في الأسرة والدين والأخلاق، قيوداً تقليدية تمنعها من بلوغ مداها.

وقد وضعت هذه العولمة أمم العالم بعضها مع بعض وجهاً لوجه، ولم يعد هناك مخابئ ولا حصون، ولا مكان للعزلة والحياد. وفي ذلك من الخطر ما لا يعلمه إلا الله.

ولسنا ننكر وجود درجة لا بأس منها من الحس العام تتمتع به الأمة، في إدراك الشر المستطير الذي تحمله العولمة في طياتها، وتداعي ثلةٍ وافرةٍ من صفوة أبنائها للبحث في تدابير التحصن ووقاية الأبناء والأسر والشباب، ولكن يبقى الدور الأكبر ملقىً على كاهل المؤسسات الإعلامية، ومراكز الرصد والبحث والدراسات، وتنسيق جهودها مع مؤسسات التربية والتعليم، والتوعية الاجتماعية، في القيام بهذه المهمة الجليلة.

# الإسلام يدعو إلى الأخلاق الحميدة

بقلم: الدكتور عبد الله مبشر الطرازي

لقد دعا الإسلام إلى الأخلاق الحسنة، واعتنى بها أكثر مما اعتنى سائر الأديان السماوية بها، بل جعل الدعوة إلى كمال الأخلاق غايته المنشودة ، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ».

ولا شك في أن الأخلاق الحسنة، التي دعا إليها الإسلام، إنما تتلخص في طاعة الله سبحانه وتعالى وإطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وفي إطاعة أولي الأمر ، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وتلك الإطاعة لله تعالى ورسوله الكريم وأولي الأمر تربي الإنسان المسلم تربية صحيحة في جميع شؤون دينه وشؤون حياته، فتجعل منه إنساناً خادماً لدينه ومفيداً لوطنه ونفسه، وتخلق من مجتمعه مجتمعاً صالحاً، وتجعل من وطنه دولة قوية عظيمة.

ولقد نهى الإسلام عن الأقوال البذيئة والأفعال السيئة، وقرر جزاءً رادعاً لمن يرتكبها، ولا شك في أن النهي عنها سياسة حكيمة، تحفظ الكيان الإنساني

وتحمي الحقوق وتحافظ على الأمن ، وبذلك يعيش المجتمع في العزة والطمأنينة، والسعادة والرفاهية.

وقد يطلق حسن الخلق ويراد به التأدب بآداب الله تعالى التي أدب بها عباده وأودعها في كتابه الكريم، من مثل قوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقال الإمام أحمد: "حسن الخلق ألا تغضب وألا تحقد"، وقال بعض العلماء: "من حسن الخلق طلاقة الوجه وبذل العطاء وكف الأذى" ومعنى ذلك أنك بحلمك تتصرف تصرفاً سليماً مع الناس ، وبعدم حقدك عليهم تجذب إليك محبتهم واحترامهم ، وببشاشة وجهك تستميل قلوبهم، وبعطائك لهم تعاونهم على الخير، وبكف الأذى عنهم تكون مسالماً تعيش محبوباً بينهم.

وقد جمع بعض العلماء علامات حسن الخلق فقالوا: « هو أن يكون الإنسان كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الفضول، براً وصولاً وقوراً، صبوراً شكورًا، رضياً حليماً، رفيقاً عفيفاً، لا لعاناً ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً ولا حقوداً، ولا بخيلاً ولا حسوداً، يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله ويغضب في الله ».

وعلى ذلك فإن الإنسان يستطيع أن يسلك الطرق الحكيمة التي تتفق مع مكارم الأخلاق، في قوله وعمله وسلوكه، وبذلك يعيش معززاً مكرماً بين الناس في الدنيا، وينال الأجر العظيم في الآخرة.

ولنا أسوة حسنة في سيدنا وحبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في

الأخلاق الإسلامية، فهو فيها النبع الخالص للأخلاق الحميدة كلها. ويكفي أن شهد له بذلك رب العالمين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وعندما سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، قالت: «كان خلقه القرآن».

ونجد في القرآن الكريم آيات كثيرة بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم، تصف شمائله الطاهرة وشيمه العالية، فيصف الله تعالى مثلاً لين جانبه وسماحة نفسه ورقة قلبه وشدة عطفه على أمته فيقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ونحن ملزمون بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومأمورون باتباعه، والمؤمن الصادق هو الذي يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم ويتبع كل ما جاء به، قال الله تعالى مخاطباً رسوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لطاعته وأن يجعلنا من المتمسكين بتعاليم القرآن الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والله ولي التوفيق.

# تجليات وحدة الأمة في فريضة الحج

بقلم: دكتور. وصفي عاشور أبو زيد

كانت الأمة المسلمة – ولا تزال، وستظل – حقيقة ماثلة، وقوة متماسكة، وكياناً موجوداً بين مكونات البشر، قد تضعف هذه الأمة وقد يتعطل سيرها أو تتخلف، بفعل أعدائها حيناً وبفعلها أحياناً، وقد تمرض وتعتريها المعطلات والكمون والتراجع.. لكنها لا تموت أبداً، ولا تفنى أبداً: لأنها الأمة الخاتمة التي ختم الله بها الأمم، كما ختم الرسل بمحمد عليه الصلاة والسلام، وختم الكتب بالقرآن الكريم.

وتعتبر وحدة الأمة من المقاصد العليا للإسلام، والمفاهيم التأسيسية للشريعة الإسلامية: حيث شرع الله تعالى من التشريعات ما يعمل على توحيد الأمة وقوتها والإبقاء على الحد الأدنى من هذا الوجود وتلك الوحدة، سواء في العقيدة أم الأخلاق أم الشريعة.

ومن التشريعات التي شرعها الله تعالى لإيجاد وحدة الأمة وحفظها ما جاء في الشريعة وبخاصة العبادات، وعلى وجه أخص الشعائر الكبرى؛ حيث يصلي المسلمون خمس صلوات في اليوم والليلة، بطريقة واحدة، وهيئات معلومة، وفرائض وسنن وآداب متفق عليها، ويصوم المسلمون شهر رمضان، وهو أيام معدودات يبدأ الصيام برؤية الهلال، وينتهي برؤيته، وبينهما الإمساك والإفطار في مواعيد محددة

عند الجميع، وصلوات الأعياد والجمع ونحو ذلك.

ومن الشعائر الكبرى الأكثر أهمية في تجليات وحدة الأمة فريضة الحج التي يقصد المسلمون بالملايين مكاناً واحداً يؤدون فيه شعائر مخصوصة في زمان محدد، فلا غرو أن يكون الحج هو المؤتمر الحاشد والجامع للأمة الذي تشهده كل عام، بما يضمن بقاء هذه الأمة واستمرار وحدتها، وفي فريضة الحج تتجلى مظاهر الوحدة والقوة في مظاهر عديدة، نذكر أبرزها في السطور التالية:

**١ – وحدة الوجهة والمقصد:**

الحج كما يعرّفه أهل اللغة هو القصد، وفيه يقصد المسلمون وجه الله تعالى إلى حيث أداء الشعائر في أماكنها المشروعة، راغبين في فضله ورحمته، وفي شهود هذا المشهد الجامع والشامل وفي أداء هذه الفريضة التي عبر عنها أبو حامد الغزالي تعبيراً معجباً حين قال: « الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه: عبادة العمر وختام الأمر، وتمام الإسلام، وكمال الدين ».

فوجهتهم من حيث المكان هي بلاد الحرمين، ومقصدهم من حيث القلب والنية هو رضا الله تعالى ومغفرة ما مضى والفوز بالجنة، وقد روى البخاري في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه »، وفي رواية له أيضاً: « من حج هذا البيت فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه »، وعند مسلم نحوه.

قال شراح الحديث: الأحاديث الواردة في هذا الباب مستفادة من قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقوله: في رواية البخاري: « من حج لله »: أي ابتغاء وجه

الله، وطلباً لرضاه، والمراد الإخلاص في العمل، بألا يكون قصده في الأساس تجارة، أو سياحة، أو شبه ذلك، وأفاد الحديث أن الحج المبرور طريق موصل إلى مرضاة الله، وثمرة ذلك أن يكون العبد من أصحاب الجنة والرضوان، ويكون مَع الَّذِينَ أنعمَ اللَّهُ عَليهِم مِن النَّبيّين والصِّدِّيقينَ والشُّهداء والصّالحين وحَسن أولئِك رَفِيقا.

**٢ – وحدة المظهر والمخبر:**

ومن تجليات مظاهر الوحدة في فريضة الحج الوحدة في المظهر والمخبر؛ ففي المظهر يرتدي الناس ثوباً واحداً، لونه أبيض، لا خيط فيه، ولا اختلاف، وإنما هي الوحدة الكاملة ظاهرياً، رداء وإزار: حيث يتخلى الجميع عن ثوبه ولباسه الاعتيادي ليتحد المسلمون في مظهرهم أمام ربهم الجليل العظيم.

يقول الأستاذ الحاج أحمد الحبابي في كتابه «مرونة الإسلام»: في مكة وحول الكعبة في الطواف وفي السعي بين الصفا والمروة وفي عرفة وفي المزدلفة وفي المشعر الحرام وفي منى وفي رمي الجمرات يجتمع المؤمنون على صعيد واحد وفي نظام ولباس واحد وتلبية موحدة.

وفي شعور المؤمنين بأن مكة بلد الله الحرام هي للمسلمين جميعهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، كل هذا وغيره يحقق للمؤمنين في موسم الحج وحدة المظهر، وعن ذلك تنشأ الوحدة الروحية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية.

وفي لباس الإحرام المتحد الخالي عن التجمل والتباهي، وفي التشعث والتغبّر يقضي المؤمن على أنانيته والتفاخر والتعالي.

وفي ذلك تذكر بموقف الإنسان بين يدي الله عزّ وجلّ حفاة عراة من كل شيء يوم العرض والحساب، يقول سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

أما وحدة المخبر بالإضافة إلى ما سبق فإن المؤمنين مخبرهم واحد، وهو الرغبة في أداء فريضة الحج؛ طلباً لرضا الله والجنة، والدخول في هذه الحالة من التجرد عن متاع الدنيا، والانفكاك عن كل ما سوى الله تعالى، ولا شك أن وحدة المظهر هي ثمرة لوحدة المخبر، فلن يستقيم ظاهر الإنسان إلا إذا استقام باطنه كما لن يستقيم لسانه إلا إذا استقام قلبه؛ ففي سنن البيهقي يروي بسنده إلى فضيل بن عياض، عن هشام، عن الحسن، عن بعض أصحابه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يستقيم إيمانُ عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ».

**٣ – وحدة المكان والزمان:**

ومن تجليات وحدة الأمة في الحج وحدة الزمان والمكان، فأما وحدة الزمان فقد قال الله تعالى عنها: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾، قال صاحب « الظلال » في تفسير الآية الجزء الأول: « وظاهر النص أن للحج وقتاً معلوماً، وأن وقته أشهر معلومات؛ هي شوال وذو القعدة والعشر الأوائل من ذي الحجة، وعلى هذا لا يصح الإحرام بالحج إلا في هذه الأشهر المعلومات وإن كان بعض المذاهب يعتبر الإحرام به صحيحاً على مدار السنة، ويخصص هذه الأشهر المعلومات لأداء شعائر الحج في مواعيدها المعروفة، وقد ذهب إلى هذا الرأي الأئمة: مالك، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، وهو مروي عن إبراهيم النخعي، والثوري والليث بن سعد، وذهب إلى الرأي الأول الإمام الشافعي وهو مروي عن ابن عباس، وجابر، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وهو الأظهر.

أما وحدة المكان فهي معلومة؛ إذ إن شعار الحج تؤدى في أماكن معلومة، ابتداء من مواقيت الإحرام وهي خمسة أماكن، لا يجوز أن يتجاوزها المسلم إلا

بإحرام، كما أنه لا ينبغي له أن يحرم قبلها فيكون متنطعاً مخالفاً لسنة سيد الأنام محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وبيان ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: وقت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة، فمن كان دونهن فمهله من أهله، وكذلك حتى أهل مكة يهلون منها، وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: « وقت لأهل العراق ذات عرق » (رواه أبو داود، والنسائي)[١].

ومروراً بأماكن أداء الشعائر حيث يوم التروية، ويوم عرفة، والإفاضة من عرفة إلى طواف الإفاضة ورمي الجمرات، وانتهاء بطواف الوداع، والله تعالى قال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ، ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٩٨ - ٢٠٠].

وبين هذه الأماكن تلحظ الحشود البشرية هادرة، في السعي وفي الطواف، وفي منى والمزدلفة، وعلى عرفات، هذا اليوم الأكبر الذي تتجلى فيه العبودية بكل معانيها، كما تتجلى فيها الربوبية كذلك بكل معانيها.

**٤ – وحدة الشعائروالمشاعر:**

وهذه من أعظم تجليات الوحدة في هذه الفريضة العظيمة، وحدة الشعائر

---

[١] « سنن أبو داود » (١٧٣٩)، و« سنن النسائي » (٢٦٥٣).

والمشاعر، فالشعائر واحدة متوحدة، لا زيادة فيها ولا نقصان، ولا تختلف باختلاف مكانة الناس ولا جنسياتهم ولا ألوانهم ولا مناصبهم، وإنما هي واحدة للجميع، فالكل أمام الله سواسية في هذه الشعائر، الكل يطوف وليسعى، الكل يقف بعرفات ليُظهر ذله أمام رب العباد وملك الملوك، الكل يفيض من عرفات، الكل يرمي جمرة العقبة الكبرى، والجمرات الأخرى، الكل يطوف طواف الإفاضة، الكل يقول أذكاراً واحدة، ويلبي تلبية واحدة: « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ».

وأما المشاعر فالأصل أن المسلم يخرج بهذه المشاعر الفياضة، وهذا الشوق الحادي إلى الأراضي المقدسة المفعم بالأمل في رحمة الله، والرجاء في مغفرته، والطمع في جنته ورضوانه، فيتحد المسلمون في شعائرهم ومشاعرهم، وهذا أقصى ما يمكن أن تصل إليه أمة في وحدها.

**٥ – وحدة النتائج والآثار:**

ومن تجليات وحدة الأمة في فريضة الحج وحدة نتيجة هذا الحج وآثاره على الفرد والأمة، فالنتيجة هي مغفرة الذنوب إذا أدى المؤمن هذه الفريضة كما ينبغي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ». أخرجه البخاري ومسلم[١].

وفي لفظ لمسلم[٢]: « من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته

---

[١] أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

[٢] « صحيح مسلم » (١٣٥٠).

أمه»، والحديث دليل على فضل الحج، وعظيم ثوابه عند الله تعالى، وأن الحاج يرجع من حجه نقياً من الذنوب، طاهراً من الأدناس، كحاله يوم ولدته أمه، إذا تحقق له وصفان؛ الأول: قوله: «فلم يرفث» والوصف الثاني: «ولم يفسق»، والمعنى: فمن أوجب فيهن الحج على نفسه بأن أحرم به فليحترم ما التزم به من شعائر الله، ولينته عن كل ما ينافي التجرد لله تعالى وقصد بيته الحرام، فلا يرفث ولا يفسق ولا يخاصم أو ينازع في غير فائدة، لأن ذلك يخرج الحج عن الحكمة منه، وهي الخشوع لله تعالى والاشتغال بذكره ودعاته.

وأما الآثار فهي حصول الاستقامة لمن حج بهذه الروح وبهذه الكيفية، وعاش روح الحج وأشربت روحه آثارها، ثم يعود ذلك على الأمة بالصلاح العام، والتماسك الظاهر، والوحدة في حدها الأدنى على الأقل التي تتجدد كل عام، وتتجلى مظاهر وحدتها في هذه الشعيرة العظيمة.

# لا تكذب

محمد بن عبد الله الحمود

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

الكذب عادةٌ سيئةٌ وصفةٌ ذميمةٌ ذمّها الشرع الحنيف، وحذَّر منها أشدَّ تحذير، وتوعَّد أهلها بالنكال والعذاب الشديد، صفة تأباها العقول المستنيرة، وتمجّها الفطر السليمة، ورغم ذلك فقد استهوت كثيراً من الناس فألفوها، واستهانوا بها وتساهلوا في أمرها، فدرج عليها الرجال والنساء، ووقع فيها الكبير والصغير، زُيّنت بها المجالس، ونسجت عليها الملح والطرائف، ما أقبحها من عادة، وما أسوأها من صفة، ألا وهي صفة الكذب المقيت الذي هو نقيض الصدق، وحقيقته هي الإخبار بخلاف الواقع، وليس مقصوراً على القول، بل قد يكون بالفعل كالإشارة باليد، أو هزِّ الرأس، وقد يكون بالسكوت.

والكذب دليل ضعفة النفس وحقارة الشأن.

والكذب مُهين النفس، بعيد عن عزَّتها المحمودة[١].

والكذب رذيلة محضة من أرذل الرذائل، تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك ينشئ الشر إنشاءً، فالكذب يتصدع به بنيان المجتمع، وبه يختل سير الأمور، ويسقط صاحبه من العيون، ولا يوثق في قوله، ولا يوثق به في

[١] الكذب، محمد الحمد (ص: ٨).

عمل، ولا يرغب له في مجلس، وأحاديثه عند الناس متروكة وشهادته مردودة[١].

إن الكذب آفة عظيمة من آفات اللسان، ومرض خطير من أمراض المجتمع التي تؤدي به إلى الهلاك والدمار، وهو صفة سلوكية مقيتة تتنافى مع الإيمان وتتفق مع النفاق، وهو طبع الأشقياء وعلامة الشقاء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، وقال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[غافر: ٢٨]. وقال صلى الله عليه وسلم محذراً من الكذب: « إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلُ لَيَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا » . متفق عليه.

وقد ذم الكذب أيضاً كثير من العلماء وبيَّنوا شؤمه وعواقبه.

يقول ابن حزم رحمه الله: « لا شك أن الكذب مرذول وصفة ذميمة، فهو من خصال النفاق ومن شُعب الكفر بل إن الكفر نوع من أنواع، فالكذب جنس والكفر نوع تحته.... »[٢].

وقال الماوردي: « وَالْكَذِبُ جِمَاعُ كُلِّ شَرٍّ، وَأَصْلُ كُلِّ ذَمٍّ لِسُوءِ عَوَاقِبِهِ، وَخُبْثِ نَتَائِجِهِ؛ لِأَنَّهُ يُنْتِجُ النَّمِيمَةَ، وَالنَّمِيمَةُ تُنْتِجُ الْبَغْضَاءَ، وَالْبَغْضَاءُ تؤول إِلَى الْعَدَاوَةِ، وَلَيْسَ مَعَ الْعَدَاوَةِ أَمْنٌ وَلَا رَاحَةٌ. وَلِذَلِكَ قِيلَ: مَنْ قَلَّ صِدْقُهُ قَلَّ صَدِيقُهُ »[٣].

وقال بعض الشعراء في ذم الكذب:

---

[١] انظر: الموارد، عبد الحزيز السلمان (١٢/١).

[٢] الآخلاق والسير في مداراة النفوس، لابن حزم (ص: ٦٠).

[٣] أدب الدنيا والدين (ص: ٦٢).

وما شيء إذا فكرت فيه بأذهب للمروءة والجمال
من الكذب الذي لا خير فيه وأبعد بالبهاء من الرجال

وقال الآخر:

لا يكذب المرء إلا من مهانته
أو من فعلة السوء أو من قلة الأدب
لبعض جيفة كلب خير رائحة
من كذبة المرء في جد وفي لعب

إن المؤمن حقًّا لا يكذب وإذا كذب ففي إيمانه نظر، سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: « نعم ». قيل: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: « نعم » قيل: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: « لا ».

إن الكذب مخالف للفطرة التي فطر الله المؤمنين عليها، قال صلى الله عليه وسلم: « يُطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب ». (رواه أحمد)

فمما سبق يتبين خطورة الكذب وشناعته وشؤمه وأنه من آكد الكبائر وأعظم المحرمات، وأشنع الأخلاق والصفات، وأبرز صفات النفاق، وما أنعم الله على عبد نعمة بعد الإسلام أفضل من الصدق، وما ابتلاه ببلية أعظم من الكذب، ولقد علقت سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرورهما بالصدق[١]، فما أنجى الله تعالى الثلاثة الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك إلا بالصدق، وما أهلك غيرهم ممن تخلَّف عن تلك الغزوة إلا بالكذب.

---

[١] انظر كتاب: الكبائر، للذهبي (ص: ١٢١).

وحسب الكذاب أنه يتصف بصفات المنافقين، ويبوء بالعذاب الأليم، قال صلى الله عليه وسلم: « آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان » (متفق عليه).

ومن نتائج الكذب المقيت أنه سبيل إلى الفجور، وإلى شهادة الزور، وإلى القذف بالباطل، والكذب في الوعد والعهد، وأكثر ما يضطر بعض الناس إلى الكذب هو الابتعاد عن المتاعب وعن المشاق المترتبة على قولة الحق، فقولة الحق ثقيلة لا يقدر عليها إلا الرجال، ومذاقها مرّ لا يستسيغها إلا العقلاء.

ولم يرخص في شيء من الكذب إلا في حالات ثلاث:

قالت أم كلثوم رضي الله عنها: « ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، والمرأة زوجها ». (رواه مسلم)

وقال صلى الله عليه وسلم: « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً أو ينمي خيراً ». (متفق عليه)

**مظاهر الكذب:**

وللكذب مظاهر وحالات منتشرة بين غالبية الناس فمنها:

١ – الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كأن يفتي الإنسان في أمر من الأمور الشرعية بغير علم، أو يكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في عمل أو قول اجتهاداً منه بغير علم طمعاً في هداية الآخرين أو انتصاراً لقوله أو رأيه أو لترويج بدعة أو ضلالة، وهذا خطأ كبير وإثم عظيم ورد فيه وعيد شديد، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]. ويقول

تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]. ويقول صلى الله عليه وسلم « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ». (متفق عليه)

٢ – الكذب لإضحاك الناس وتسليتهم: فتجد من يكذب في مجالس الناس ومنتدياتهم لأجل أن يستظرفوه ولا يملوه، فتجده يأتي بالغرائب ويصطنع الملح والطرائف المكذوبة لأجل أن يستمر متصدراً المجالس مقدماً فيها، ولقد جاء أيضاً في هذا النوع من الكذب وعيد شديد حيث يقول صلى الله عليه وسلم: « ويل لمن يكذب ليضحك القوم، ويل له » (رواه ابن داود والترمذي وأحمد والدارمي)

٣ – الكذب في البيع والشراء: كالذي ينفق سلعته بالأيمان الكاذبة، وهذا – وللأسف الشديد – يقع كثيراً بين طوائف من الناس على رغم خطورته وشدة ماجاء فيه من الوعيد. يقول صلى الله عليه وسلم: « اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب » (متفق عليه).

وقال صلى الله عليه وسلم: « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم – وذكر منهم –: المنفق سلعته بالحلف الفاجر ». (رواه مسلم)

٤ - إن الشيطان يصور للبائع أو المشتري ربحاً كثيراً إذا تحايل وكذب على صاحبه، وهذا يقع كثيراً عند من لا يراقبون الله ولا يخافونه، فتجد البائع يخفي عيوب سلعته خوفاً من امتناع المشتري من شرائها، وتجد المشتري أيضاً يحقر سلعة البائع ويقلل من جودتها وإن كان يعلم في قرارة نفسه جودتها، أو أنه يقول بأنه وجد مثلها عند غيره بسعر أقل وهو يكذب من أجل أن يشتريها بأقل سعر ممكن.

٥ – الكذب في المواقف الحرجة: فإن البعض قد يقع في موقف حرج مع والديه أو مع أحد من زملائه أو معلمه فيكذب تهرباً من الموقف وخوفاً من العقاب

والعتاب، أو أن يطلب منه أحد إنجاز عمل ما ونحو ذلك ثم لا ينجزه فيكذب خوفاً من الملامة والمساءلة، وهذا غباء وهوان، وهو فرار من الشرِّ إلى مثله أو أشد، والواجب أن يعترف الإنسان بخطئه إذا أخطأ، فلعلَّ صدقه في ذكر الحقيقة وندمه على ما بدر منه يمسحان هفوته ويغفران زلَّته.

٦ – الكذب في المخاصمات والمطالبات: فقلَّ من يصدق مع غريمه في مطالبة أو خصومة، وهذا يلاحظ كثيراً في حوادث المرور وفي المحاكم وغيرها، فقل من يقول الحق أو يعترف بخطئه، فيكذب كي يكسب الموقف ويظفر بما يريد ولا يخسر شيئاً من حطام الدنيا الفاني.

٧ – الكذب على الأولاد: فكثيراً ما يكذب الوالدان على أبنائهم رغبة في التخلص من أمر يلحقون فيه، أو تخويفاً لهم كي يسمعوا لهم ويطيعوا، أو تشجيعاً لهم كي يجدُّوا ويجتهدوا في دراستهم أو فيما يوكل إليهم من عمل، أو لتحصيل أمر معين، وهذا كله خطأ وإجرامٌ في حق أبنائهم، وهو كذب محض حتى ولو كان على الأبناء ويراد به مصلحة، لأنه لم يرخص فيه كما رخص في غيره من الأمور التي يباح فيها الكذب.

روى عبد الله بن عمار رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، قال: فذهبت لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله، تعال أعطيك، فقال رسول الله ﷺ: « وما أردت أن تعطيه؟ » قالت: أعطيه تمراً، قال رسول الله ﷺ: « أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة ».

٨ – الكذب لاستدرار العطف وكسب المؤيدين[١]: كحال من يكذب في

[١] انظر كتاب: الكذب – مظاهره – علاجه، محمد الحمد (ص: ١٧).

مسألة الناس واستجدائهم، فتراه يظهر الفقر والفاقة، ويوهم بأن الديون قد ركبته، ولم يعد له طاقة في سدادها، أو يزعم أنه مريض، أو يقوم على رعاية مريض أو مرضى، وربما حمل معه صكًّا يوهم أنه معسر ومحتاج إلى المساعدة.

وكحال من يكذب لكسب المؤيدين، أو لترويج فكرة يدعو إليها.

هذه بعض مظاهر الكذب المنتشرة بين الناس فيجب على المسلم أن يتفقد نفسه وأن يحذر من التساهل في شأن الكذب أو التهاون به، وعليه سرعة الإقلاع عنه والتوبة منه وعدم التعامل به لما له من المزالق والمساوئ التي تؤدي بصاحبها إلى دناءة النفس وضياع الإيمان، ومن ثم إلى النار وبئس القرار، فإذا كانت هذه نهاية الكذب وأهله فما أحرى بالعاقل اللبيب أن يحذر الكذب وأن يلزم الصدق، فالصدق منجاة والكذب مهواة، والصدق في الأقوال والأعمال من أبرز صفات المؤمنين التي يتميزون بها عن غيرهم في الدنيا والآخرة، وقد أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بالصدق وأثنيا على الصادقين، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال صلى الله عليه وسلم: « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ». (متفق عليه)

ويقول صلى الله عليه وسلم: أنا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ». (رواه البيهقي بإسناد حسن)

ولا ريب أن الصدق خصلة محمودة وسجية مرغوبة تألفها الفِطر السوية وتدعو إليها الشرائع السماوية.

قال بعض الحكماء: « عليك بالصدق، فما السيف القاطع في كف الرجل

الشجاع بأعز من الصدق، والصدق عز وإن كان فيه ما تكره، والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب، ومن عُرف بالكذب اتهم في الصدق».

وقال آخر: «الصادق مُصان خليل، والكاذب مُهان ذليل».

وقال آخر: «لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لقد كان حقيقاً بذلك، فكيف وفيه المأثم والعار؟!».

وقال طرف بن طريف: ما يسرني أني كذبت كذبة وأن لي الدنيا وما فيها.

فإن كان الصدق بهذه المكانة فالواجب علينا – معاشر المسلمين – أن نلزم الصدق ونتحرَّاه، وأن نوطن أنفسنا عل الأخذ به، وأن يكون هيئة راسخة يعتمده الواحد منا في جميع أحواله، لا أن يكون موسميًّا أو مرتبطاً بحالة معينة[١].

اللهم ارزقنا الصدق ووفقنا للقول والعمل به، وجنبنا الكذب ووفقنا لاجتنابه والبعد عنه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[١] انظر كتاب: الكذب مظاهره وعلاجه، محمد الحمد (ص: ٢٥-٢٩).

# من أخلاقيات الرسول ﷺ مع الأطفال

بقلم: خلف أحمد محمود أبو زيد

لقد توجه رسول الله ﷺ إلى الأبوين بكثير من التعاليم في كيفية تربية ورعاية الأبناء فقد روي عنه ﷺ أنه قال: « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم[١]، فإن أولادكم هدية الله إليكم، وهدية الله يجب أن تصان، وتكون موضع اهتمامنا وحفاوتنا وحمدنا وشكرنا له سبحانه وتعالى عليها، وإكرامنا لأولادنا ليس مجرد حبهم فقط، بل علينا أن نعطيهم الكثير مادياً ومعنوياً، حتى يكونوا أعضاء نافعين وصالحين في هذه الحياة، يستفيد منهم مجتمعهم، ويعود خيرهم على أمة الإسلام جمعاء، ومجال العطاء للأبناء كثير، وكثيرون منا نحن الآباء نتجاهل ذلك، تحت انشغالنا عنهم لسبب أو لآخر، وقد تناول النبي ﷺ عدداً من الأمور التي تخص الأطفال، وتبرز قضاياهم ومشاكلهم، ونعرض عبر هذه السطور صوراً من أخلاقيات وسلوكيات النبي ﷺ مع الأطفال، لتكون بمثابة مواقف تعليمية للآباء والأمهات، يجدون من خلالها خير نبراس ومعين لهم في التعامل مع أطفالهم.

**اشكروهم وتلطفوا بهم:**

من المعلوم أن الكثير من الأطفال عند ما يخطئون يتعرضون إلى اللوم والعقاب، والذي يصل في بعض الأحيان إلى حد العقاب البدني، ولكننا لا نجد في

---

[١] رواه ابن ماجه: (٣٦٧١).

الوقت نفسه من يقدم الشكر والثناء للطفل، عند ما يقوم بعمل نافع أو سلوك حميد، فلا يحرص الوالدان على شكره وإظهار تقديرهما لعمله هذا قدر حرصهما على تأنيبه وعقابه عند الخطأ، ويلفت النبي ﷺ نظرنا إلى ذلك بضرورة الثناء على أفعال الطفل الطيبة وإشعاره بعظيم ما قدّم، حتى ولو كان قليلاً، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ضمني رسول الله ﷺ، وقال: « اللهم علمه الكتاب ». (رواه البخاري)

وقال ابن عباس أيضاً: « وضعت للنبي صلى الله عليه وسلم وضوءاً، قال من وضع هذا؟ فأخبر فقال: « اللهم فقهه في الدين ». (رواه البخاري)

ولما خدم أنس رضي الله عنه رسول الله ﷺ دعا له النبي ﷺ فقال: « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته ». (رواه البخاري).

**سلِّم على طفلك:**

يرى الكثير من الأطفال أن الكبار يسلم بعضهم على بعض، ويتبادلون التحية فيما بينهم، في حين أنهم يتجاهلونهم في ذلك،تحت دعوى أنهم صغار، ويلفت النبي ﷺ نظرنا إلى أهمية عدم تجاهل الأطفال بالسلام والتحية، فقد مر عليه الصلاة والسلام على أطفال يلعبون فقال لهم: « السلام عليكم يا صبيان ». (رواه البخاري)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: « مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان النبي يفعله » (رواه البخاري)

وفي الوقت نفسه لم يحرم النبي صلى الله عليه وسلم الأطفال والصبيان من مشاركة الكبار في إلقاء السلام، فقد قال صلى الله عليه وسلم: « يسلم الصغير على الكبير،والمار على القاعد والقليل على الكثير ». (رواه البخاري)

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ يعرفون عنه هذا، فكان إذا ما عاد إلى المدينة من غزوة أو رحلة، بعثوا بأطفالهم يستقبلونه قرب وصوله، وكان صلى الله

عليه وسلم يفرح لمستقبليه من الأطفال، ويلقاهم في حفاوة، ويردفهم وراءه، أي إنه كان يركبهم معه دابته، ويدخل بهم المدينة سعيداً شاكراً حسن استقبالهم.

**قل له أحبك:**

من المعاني الجميلة التي تدخل البهجة والسرور إلى قلب الطفل، أن تشعره بحبك له، فإن ذلك مدعاة مهمة في تربية الطفل تربية سليمة،وقد وجّه رسول الله ﷺ أنظارنا إلى ذلك في عدد من المواقف، فقد أحب الصغار، وكان يمارس حبه الكبير لهذه البراعم الخضراء عملياً، فعن البراء رضي الله عنه قال: « رأيت النبي ﷺ، والحسن بن علي على عاتقه يقول: اللهم إني أحبه فأحبه ». (رواه البخاري)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ التزم الحسن بن علي فقال اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه، فقال أبو هريرة، فما كان أحد أحب إلي من الحسن، بعدما قال رسول الله ﷺ ما قال، « بل إن حب رسول الله ﷺ للأطفال لم يكن قاصراً على أحفاده فقط، بل كان قلبه متسعاً لحب جميع الأطفال، فإنه من الجميل أن يحب المسلم أطفاله، ولكن الأجمل أن يتسع قلبه لحب جميع الأطفال، لذا نجد أن نظرة النبي ﷺ ترتقي بهذه المرحلة بمعناها الشامل، وليس بمعناها المحدود، فعن أنس رضي الله عنه، قال، رأى النبي صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان مقبلين من عرس، فقال ﷺ: « اللهم إنهم من أحب الناس إلي، اللهم إنهم من أحب الناس إلي، قالها ثلاثاً ». (رواه البخاري)

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما حدّث عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه كان يأخذه هو والحسن فيقول اللهم أحبهما فإني أحبهما ». (رواه البخاري)

مجلة ثقافية إسلامية عربية

Title Code: UPARA 00029

Quarterly

# AL-SHARIQ Arabic

JAMIA ISLAMIA

Muzaffarpur, Azamgarh, Pin: 276302 U.P. (India)

Vol. No: 8

Issu.No:2

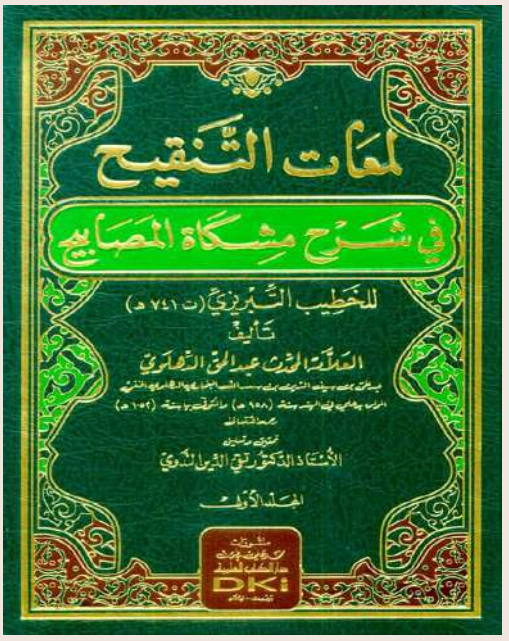


Email: alshariqarabic@gmail.com

Mob: +918795565555

(Printed At Harsh Offeset Press, Jaunpur, U.P.)